المملكة المغربية
جامعة محمد الخامس
منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط
نصوص ووثائق ①

التشوف إلى رجال التصوف

وأخبار أبي العباس السبتي

لأبي يعقوب يوسف بن يحيى
التادلي عرف بابن الزيات
617 هـ

تحقيق
أحمد التوفيق

مكتبة الطالب
207 شارع محمد الخامس
الهاتف 29-261 — الرباط

1984 — 1404
الرباط

الطبعة الأولى 1404 – 1984
جميع حقوق الطبع محفوظة

مقدمة التحقيق

صدرت الطبعة الأولى من كتاب «**التشوف إلى رجال التصوف**» لأبي يعقوب يوسف بن يحيَى بن عيسَى بن عبد الرحمان التادلي المعروف بابن الزيات سنة 1958 ضمن مطبوعات معهد الأبحاث العليا المغربية (الجزء الثاني عشر) . وقد اعتنَى بنشر تلك الطبعة وتصحيحها أدولف فور Adolphe Faure الذي كان إذذاك أستاذا بمعهد الأبحاث العليا المغربية . وكان لهذا الباحث المقتدر اهتمام خاص بنصوص تاريخ المغرب الديني حيث اشترك مع الأستاذ محمد الفاسي بعد ذلك في تحقيق كتاب آخر في الموضوع هو «**انس الفقير وعز الحقير**»[1] لابن قنفذ القسنطيني .

وتشهد النشرة الأولى من **التشوف** على المجهود العظيم الذي بذله الأستاذ فور في مقابلة ثمان نسخ مخطوطة ترجع كتابة أقدمها إلى أوائل القرن الحادي عشر الهجري ، أي أنها متأخرة عن تاريخ كتابة الأصل بأربعة قرون كاملة . والواقع أن «**التشوف**» ، وهو يتضمن أخبار عدد من الرجال الذين تنتهي إليهم معظم الأسانيد الصوفية في المغرب الأقصَى ليس من نوادر المخطوطات بل كثر نقل نسخه بعضها عن بعض للخزائن الخاصة والموقوفة ، وكلما كثر النساخ ، ولاسيما لمثل هذا الصنف من النصوص التي لا يقتصر الاهتمام بها على خاصة الناس ، إلا وكثر الغلط والتصحيف ولاسيما في العجمي من أسماء الأشخاص والأماكن ، وما أكثرها في كتاب ابن الزيات الذي يتناول فترة دقيقة في التحول الثقافي بالمغرب الأقصَى ، تمتد بين القرن الخامس والقرن السابع للهجرة . وقد نتجت عن ذلك مشاكل هي مما يوهن قرن الوعل ، أدرك ذلك الأستاذ فور حيث قال في استدراكاته : «إن الأعلام البربرية في هذا الكتاب سواء كانت أعلام الأشخاص أو أعلام الأمكنة لعديدة جدا ، وضبطها ضبطا لا شك فيه ، مسألة يصعب حلها»[2] . لذلك لم

(1) ضمن منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي ، 1965 .
(2) **التشوف إلى رجال التصوف** ، طبعة فور ، ص : 547 .

يجرؤ هو على اقتحام هذه المصاعب ، بل لم يحاول ذلك البتة إلا في جزئية صغيرة لا نظن أنه وُفق في اجتهاده فيها حيث قال : «فيما يخص الأعلام التي أولها ألف ، نظن أن الصواب أن تستبدل الألف المهموزة بالألف الممدودة ، مثل ذلك : أزمور ، أسفي ، أغمات ، أمغار ...، الصواب : آزمور ، آسفي ، آغمات ، آمغار ...» ولم يبين مستنده في ذلك الظن ، مع العلم بأن كل من يلم الماما بسيطا بلغة المصامدة يدرك أنهم لا يمدون الألف في تلك الكلمات ولا في مثيلاتها .

وها هي كلية الآداب تقدم اليوم وبعد ربع قرن من الزمن على نشر طبعة ثانية من كتاب ابن الزيات ، وأجدر بها أن تفعل لأنها وريثة معهد الأبحاث العليا لا في بنايته فحسب بل في تقاليده وما اضطلع به من نشر كتب التراث .

وقد نفدت نسخ الطبعة الأولى أو كادت ، وصار البحث عنها يزداد من قبل المهتمين بتاريخ المغرب عامة ، وبتاريخه الوسيط خاصة ، لا من زاوية التاريخ الديني فحسب ، على حد نظر أدولف فور ، بل حتّى من منظور التاريخ الكلي ، اجتماعيا وثقافيا ، فالنص يضم في ثناياه مادة حافلة مغرية يكاد يهم باستثمارها غير واحد من هؤلاء «القراء» الجدد . ويضم بين سطوره ما جعلهم يتمنون أن يتصدّى متصد لحل بعض مستغلقات النص في تحقيق أبعد غورا يقربه من تناول التحليل .

وكذلك أزمع الأستاذ العميد محمد القبلي أن يدرج إعادة طبع **التشوف** ضمن برنامج منشورات الكلية لسنة 1978 ؛ وكيف لا يقدر أهمية الكتاب وهو الباحث في تاريخ الغرب الإسلامي الوسيط . ولكن المال المرصود للمنشورات في ذلك العام ضاق عن تحقيق أمنيته ، ولما تفرغ للبحث وتولى العمادة بعده الأستاذ محمد حجي تتبع ذلك المشروع باهتمام مماثل ، والأمر ليس مما يختلف فيه باحثان . وظلت النية على أن يُصوَّر بالأوفسيت النص الذي اعتنَى بنشره الأستاذ أدولف فور ، ولما أثيرت المسألة أثناء مناقشة برنامج منشورات الكلية لسنة 1982 ضمن اللجنة المختصة طُرحت فكرة مراجعة النص قبل إعادة نشره على ضوء بعض النسخ التي ظهرت في الخزائن العامة بعد عمل أ. فور . وما لبث الأستاذ العميد حجي أن أبدَى تحمسه لهذه الفكرة فكتب إلي تكليفا بذلك ، وظل يلح علي في إتمام هذه المراجعة في الآجال الإدارية المطلوبة ، ويشجعني لكي أسرع بالإنجاز ، لكن ، هيهات !

وشاء الله ألا تتم هذه الطبعة إلا والأستاذ حجي قد انصرف لمهام أخرى وخلفه في عمادة كلية الآداب الدكتور حسن مكوار وتقرر أن يقدم هذا النص للطبع في هذه السنة .

إن الذي جعلني أبحث في هذا النص وأركب مركبه الصعب هو قراءة متكررة لتراجمه عندما كنت أبحث في تاريخ هسكورة في العصر الوسيط تمهيدا لتاريخ قبيلة إينولتان في القرن التاسع عشر ، فكتاب «**التشوف**» يتضمن تراجم عدد من أتقياء الهساكرة ، ولما راجعتها على ضوء التحريات الميدانية التي كنت مضطرا إليها تبين لي إمكان إصلاح بعض أسماء الأعلام وإمكان التعريف ببعضها الآخر ، وأدركت أنه لو وقع التوسع في البحث ليشمل مجموع المناطق التي ينتمي إليها المترجَمون في الكتاب لأمكن التعرف على مواطن جلهم ولكان ذلك إسهاما في توضيح جانب من خريطة المغرب الدينية وجانب من التاريخ الثقافي والاجتماعي للمدن والبوادي على العموم ، لأن بعض الرسوم ماتزال قائمة بالرغم من تبدل الأحوال ودروس الديار وعفاء الزمن .

إن بحثا متقدما في تاريخ الثقافة كفيل بأن يبين لنا الإقبال المتغاير الذي لقيه كتاب «**التشوف**» والأسباب المفسرة لذلك . ولما كان هذا البحث لم يُنجز بعد فإن هناك ما يجعلنا نفترض أن هذا الإقبال قد زاد في القرون الأربعة الأخيرة ، وحتّى إذا كان الذين جاءوا في القرون التي تلت وفاة التادلي قد تداولوا الكتاب ، بل وألّفوا على منواله من أمثال ابن قنفذ في «**أنس الفقير**» والبادسي في **المقصد**[3] . فيظهر أنهم لم يكن لهم اهتمام مناسب بالمؤلف نفسه ، بالرغم من ورود ذكره عرضا في بعض كتب التراجم **كالذيل والتكملة** لابن عبد الملك . أما المتأخرون فإذا ترجموا له نقلوا عن عالم التكرور أحمد بابا المتوفَى في العقد الرابع من القرن الحادي عشر الهجري والذي ترجم للتادلي في كتابه «**كفاية المحتاج**»[4] حيث قال :

(3) **المقصد الشريف والمنزع اللطيف في التعريف بصلحاء الريف** ، لعبد الحق بن اسماعيل البادسي وكان على قيد الحياة سنة 722 ، نشر الكتاب مترجما إلى الفرنسية وعليه عدد من الحواشي المفيدة من طرف المستعرب جورج كولان سنة 1926 ، ضمن المجلد السادس والعشرين من سلسلة **Archives Marocaines** التي كانت تصدر بباريس ، ونشر النص العربي مؤخرا (1982) بتحقيق سعيد أحمد أعراب ، وطبع المطبعة الملكية بالرباط .

(4) **كفاية المحتاج بما ليس في الديباج** ، مخطوط الخزانة الحسنية رقم 681 ، ص : 306 .

«يوسف بن يحيَى بن عيسَى بن عبد الرحمان التادلي ، عرف بابن الزيات . قال الحضرمي : هو الشيخ الفقيه القاضي الأديب مؤلف كتاب **التشوف إلى رجال التصوف** وله تأليف في صلحاء المغرب ، لم يدخل الأندلس ، صحب أبا العباس السبتي ولقي ابن حوط الله والسلالقي ، وشرح **مقامات الحريري** شرحا نبيلا جدا ، وحدث بكتابه **التشوف** الأستاذان الفاضلان أبو القاسم بن الشاط[5] وابن رشيد[6] عن قاضي الجماعة أبي عبد الله محمد بن علي الشريف[7] عنه إذنا . توفي قاضيا برقراقة[8] سنة سبع أو ثمان وعشرين وستمائة» .

وقد وقع الإشكال في تعريف هذا الحضرمي الذي أكثر النقل عن **فهرسته** صاحب نيل الابتهاج . فالشيخ الطلعاء محمد عبد الحي الكتاني قد كتب في الصفحة الأولى من نسخة التشوف التي كانت بيده وانتقلت إلى الخزانة العامة وسجلت فيها تحت رقم ك 56 أن المنقول عنه هو «أبو سعيد محمد بن الأستاذ عبد المهيمن الحضرمي» كتب ذلك سنة 1333هـ ، وأبو سعيد الذي يذكره توفي سنة 787هـ ولكن الكتاني عاد لطرح الإشكال في «**فهرس الفهارس**»[9] ورجَّح أن يكون المنقول عنه حضرميا آخر هو القاضي أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الذي كان صاحب البلوي . ونسب إليه عبد الحي كتاب «**السلسل العذب والمنهل الأحلى**»[10] .

= أما مخطوطات «**نيل الابتهاج بتطريز الديباج**» في الخزانتين الحسنية والعامة بالرباط فلا توجد بها ترجمة التادلي ، بينما توجد في الطبعة الفاسية منه ، ص : 386 وبالطبعة اللبنانية على هامش «**الديباج المذهب**» لابن فرحون ، ص : 352 .

(5) توفي أبو القاسم سنة 725هـ ، انظر ترجمته في الديباج ، ص : 261 .

(6) توفي أبو عبد الله بن عمر بن محمد بن رشيد السبتي سنة 721 بفاس . انظر ترجمته في **الإعلام** للعباس بن ابراهيم ، ج 3 ، ص : 250 .

(7) توفي أبو عبد الله محمد بن علي الشريف بمراكش سنة 681 ، انظر ترجمته في **الإعلام** للعباس بن ابراهيم ، ج 4 ، ص : 281 .

(8) وردت في **نيل الابتهاج** المطبوع هكذا : دقداق ، والصحيح : رقراقه أو رجراجة بجيم مصرية .

(9) طبعة فاس ، ج 1 ، ص : 258 .

(10) نشره محمد الفاسي في **مجلة معهد المخطوطات العربية** ج : 1 ، مجلد 10 ص 37 — 38 .

أما صاحب «**دليل مؤرخ المغرب الأقصَى**»[11] فقد نسب **السلسل العذب** وكذا كتاب **الكوكب الوقاد فيمن حل بسبتة من العلماء والصلحاء والعُبَّاد** لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر عبد المهيمن الحضرمي ، وظن رحمه الله ، أنه استدرك على صاحب **فهرس الفهارس** تاريخ وفاته حيث ذكر أنه وارد في **لقط الفرائد**[12] ، وهي سنة 787. بيد أن الذي لم يقف صاحب «فهرس الفهارس» على وفاته هو عبد الله بن إبراهيم الحضرمي . أما صاحب **لقط الفرائد** فإنه أثبت تاريخ وفاة أبي سعيد الحضرمي . وبقطع النظر عن الاضطراب الواقع في نسبة الكتابين المذكورين فإننا نجد في كتاب طبقات المالكية[13] المجهول المؤلف ذكرا لصاحب **الفهرسة** التي ينقل عنها أحمد بابا السوداني . فهو القاضي أبو عبد الله محمد بن ابراهيم الحضرمي ينقل عنه في تراجم شيوخه وأصحابه . ومن شيوخه عثمان بن ليون التجيبي الذي قال عنه الحضرمي «شيخنا الفقيه الجليل (...) كتب للقضاة ببلدنا واستنابوه عنهم (...) ولد بألمرية وبها نشأ وشب واكتهل ولم يرحل عنها بوجه (...) لازمته ثلاثين سنة ، وحفظت بعض تآليفه (...) وأمدني من خزانة كتبه بما انتفعت به ، توفي شهيدا في الطاعون العام عام خمسين وسبعمائة» ، كما نقل عنه في تراجم آخرين من شيوخه كأبي القاسم بن جزي المتوفى عام واحد وأربعين وسبعمائة وأبي القاسم الشريف السبتي المتوفي عام ستين وسبعمائة وأبي البركات البلفيقي المتوفى سنة إحدَى وسبعين وسبعمائة . وكانت للحضرمي صحبة مع خالد بن عيسَى البلوي المتوفى قبل 780هـ حيث قال عنه البلوي فيما أورده ابن القاضي في «**جذوة الاقتباس**» : «أخي وسيدي وصديقي الشيخ الفقيه القاضي المحدث الفاضل الراوية المقيد المسند محمد بن إبراهيم الحضرمي»[14] . وعلى هذا فمؤلف **الفهرسة** التي نقل عنها أحمد بابا ترجمة التادلي كان معاصرا لمؤلف كتاب «**السلسل العذب**» المهدى للسلطان أبي فارس عبد العزيز المريني المتوفى عام سبعة وستين وسبعمائة . ولكن كنية والده ليست أبا بكر ،

---

(11) **دليل مؤرخ المغرب الأقصَى** للمرحوم عبد السلام بن سودة ، ص : 53 و67 .

(12) انظر لقط الفرائد ص : 222 ، ضمن كتاب **ألف سنة من الوفيات** ، تحقيق محمد حجي ، الرباط 1976 .

(13) مخطوط الخزانة العامة : 3928 د .

(14) **جذوة الاقتباس** لابن القاضي ص : 188 ، طبعة دار المنصور بالرباط ص 188 .

ثم إنه معاصر لأبي سعيد بن عبد المهيمن المتوفى عام 787هـ كما أسلفنا . فلا عجب أن يؤدي الأمر إلى الالتباس . ثم إن من شيوخ هذا الحضرمي من أخذوا عن ابن الشاط وابن رُشَيد كأبي القاسم الشريف فيكون سمع منه عنهما كتاب **التشوف** والتعريف بصاحبه .

إن التعريف المنقول عن الحضرمي يتضمن ، على قصره ، معلومات نفيسة عن ابن الزيات الذي لم يجد مكانة في موسوعات الأندلسيين لأنه لم يدخل الأندلس . فالتعريف ينص على أنه لقي الأستاذ أبا محمد عبد الله بن سليمان بن داود بن حوط الله الأنصاري وهو المحدث الحافظ الشاعر النحوي الذي تصدر للقراءات والعربية وأدَّب محمد الناصر بن يعقوب المنصور الموحدي بمراكش ، وكانت وفاته سنة ثنتي عشرة وستمائة . وقد روَى عنه المؤلف خبرا واحدا في مقدمة «**التشوف**» .

أما الشيخ الثاني الذي ذكر الحضرمي أن ابن الزيات قد لقيه فورد في مخطوطات «كفاية المحتاج» التي راجعناها أنه السلالقي ، ونقل عبد الحي الكتاني في النسخة المشار إليها أعلاه أنه السلالقي أو السلالجي . والسلالجي المعروف هو الأصولي أبو عمرو عثمان بن عبد الله الفاسي الذي ترجم له في «**التشوف**» ولم يذكر ما يفيد أنه لقيه . وإن كان قد ذكر أنه قدم مراكش وفيها أخذ عن ابن الإشبيلي ثم رجع إلى فاس للتدريس بها . وذكر أن وفاته كانت سنة أربع وستين وخمسمائة . وحتَّى على فرض أن وفاة أبي عمرو السلالجي قد تأخرت إلى سنة أربع وسبعين حسبما ذهب إلى ذلك بعض الباحثين[15] فإن القرائن تستبعد أن يكون ابن الزيات لقيه . فأساتيذه الآخرون متأخرون ، ولا يمكن أن يكون قد أخذ إلا عن الأقران فيكون الذي لقيه ابن الزيات هو السلاقي فتحرفت إلى السلالقي أو السلالجي ، ونقصد بالسلاقي أبا بكر المترجم في الذيل والتكملة[16] لابن عبد الملك ، وهو محمد بن عبد العزيز بن خلف اللبلي ، سكن اشبيلية ثم مراكش و«كان متبحرا في حفظ اللغات والتواريخ والأشعار قديمها وحديثها متقدما في النحو (...) نقله المنصور من بني عبد المومن إلى حضرته مراكش فأنزله في جامعه الأعظم لتدريس ما كان عنده من المعارف» ، مولده سنة احدَى وأربعين وخمسمائة ووفاته سنة احدَى وستمائة .

(15) انظر عبد الله كُنون : **عثمان السلالجي** العدد 11 من سلسلة «ذكريات مشاهير المغرب» .
(16) **الذيل والتكملة** ، السفر السادس ، ص : 381 ، تحقيق الدكتور إحسان عباس .

أما ابن الأبار فقد ترجم لهذا السلاقي وكناه أبا عبد الله[17] ولكنه ترجم لسلاقي آخر كنيته أبو بكر واسمه محمد بن علي من أهل اشبيلية سكن مراكش وكان عالما بالعربية ووفاته سنة خمس وستمائة[18] .

ومن المحقق أن ابن الزيات أخذ عن أساتيذ غير المذكورين كانوا من قمم العلم في عصره نذكر منهم ، استنادا إلى ما أورده ابن عبد الملك في سفر الغرباء من **الذيل والتكملة**[19] ، أبا موسَى عيسَى بن عبد العزيز الفُزولي الذي كان قطبا في علوم العربية ، وقد ذكر مؤلف **التشوف** أنه سمع منه خبرا يتعلق بوجاج بن زلو اللمطي . وكذلك أخذ ابن الزيات عن أبي القاسم أحمد بن بقي الأموي ، وهو من أهل قرطبة ، ولي قضاء الجماعة بمراكش وخطتي القضاء والمظالم والكتابة العليا فسمع منه الناس . وقد ذكر ابن الزيات في **التشوف** أنه قرأ عليه كتاب **العين** للخليل وروى عنه أخبارا عن ابن بشكوال وربما كان سنده في رواية **مسند** جده بقي بن مخلد . وقد توفي أبو القاسم بن يزيد بقرطبة سنة خمس وعشرين وستمائة[20] .

وقد أثمر أخذ ابن الزيات عن هؤلاء الشيوخ متانة في العربية تظهر في هذا الأسلوب «الجاحظي» الملموس في مقدمة **التشوف**[21] ، بل ان علو كعبه في العربية أقدره على وضع هذا «الشرح النبيل» **لمقامات الحريري** الذي يُنسب له ، كما أثمر لديه قدرة أهلته لتولي القضاء ، ومنزعا أدَّى به إلى جمع أخبار الأولياء والتصنيف في تراجم الفضلاء والأصفياء .

أما تآليفه في التصوف فالذي بين أيدينا منها هو «**التشوف**» و«**أخبار أبي العباس السبتي**» وقد ذُكر له تأليف آخر في صلحاء المغرب ، ولا نعرف عنه شيئا إلا هذه الإشارة التي نجدها عند أبي العباس الغبريني في «**عنوان الدراية فيمن عرف من**

(17) **التكملة** لابن الأبار ، الترجمة 830 من طبعة كوديرا .
(18) نفس المصدر ، ترجمة 594 من طبعة عزت العطار ، وانظر **بغية الوعاة** للسيوطي ج 1 ، ص 160 وص 196 . **والإعلام** للعباس بن إبراهيم ج 4 ، ص : 154 وص 156 .
(19) مخطوط الخزانة العامة بالرباط رقم 3784 د، ص 70
(20) ترجمة في **التكملة** لابن الأبار : 292 ، وفي **برنامج الرعيني** ص : 20 ، **والإعلام** ج 2 ص 135 .
(21) انظر محمد بن تاويت ، **الوافي بالأدب المغربي** ، ج 1 ، ص : 307 .